ـ « حاولت السلطات الاسرائيلية تقديمي الى المحاكمة في عام ١٩٦١ على قصيدة عن غزة واستدعيت الى التحقيق ، وقدمت لي لائحة اتهام ، ونشرت الصحف ان العقوبة ستبلغ خمس سنوات سجن ... واذكر (ايضا) انني في عام ١٩٦١ وجدت نفسي في غرفة التوقيف لمدة عشرة ايام بدون تهمة وبدون تحقيق » .

ويقول :

ـ « في عام ١٩٦١ دخلت الى الحزب الشيوعي ، فتحددت معالم طريقي وازدادت رؤيتي وضوحا ، وصرت انظر الى المستقبل بثقة وايمان ، وترك هذا الانتماء اثارا حاسمة على سلوكي وعلى شعري » .

هاتان الحقيقتان ، معا ، في منتهى الاهمية لانهما يحددان شيئين متلازمين ، ضروريين للشاعر ، وهما ـ ان جاز التعبير ـ « الدرع والرمح » .

ويبدو أن محمود درويش يعي ذلك تماما : « لقد احسسنا ان غزوا ثقافيا لنشر العبرية يزحف الينا ناعما ، فكان لا بد لنا من ان نمنح انفسنا الوقاية » و « لكي يفعل شعر المقاومة مفعوله عليه ان يكون عملية للتغيير فيتسلح بنظرية ثورية ذات محتوى اجتماعي » .

ذلك شيء مهم للغاية ، لانه حمل محمود درويش في رحلته دائما نحو الامام ، ونحو استكمال رؤيا واحدة للعالم . لم يكن صاحب «وجهة نظر » ولكنه طور ذلك الى رؤيا كاملة وواحدة للعالم ، فصارت الاشياء والقضايا في عينيه اكثر منطقية ، وبالتالي في شعره .

في تلك الفترة التي كان محمود درويش فيها يقوم بقفزته، نستطيع ان نرى شاعرا آخر ، يفعل الشيء ذاته ، وبينهما يكمن الفارق .

ففي الوقت الذي كان الدرويش يتجه نحو اليسار ، كان راشد حسين يتجه نحو « الوسط » ، ان لم نقل اليمين .

لنتابع ذلك الحادث بدقة : في الفترة التي كتب بها الدرويش قصيدته عن « وهيبة » التي سجلنا بعض مقاطعها اعلاه ، كتب راشد حسين : « امس التقيت بساعة سوداء من ماض مرير

فرأيت نفسي في زحام قوافل سمر اسير
وجميعنا لثم التراب وجوهنا
كي يلثم الترف الندي جبين سمسار حقير
فجزعت ، خفت بان تكوني بنت ملاك كبير
..... ونمر في اطيانكم يوما فيصدفنا اجير
قذر الثياب ، فتبصقين على التراب
فاحس في عيني اعصارا وفي بدني سعير
واقول : يا بنت الامير
انا كل شعري للاجير »

ويتطور راشد حسين ، في الاعوام الثلاثة اللاحقة ، الى درجة جديدة ، وفي الفترة التي يكتسب فيها الدرويش تلك الرؤيا الواحدة للاشياء ، التي اخذنا نموذجا لها في قصيدة « عسل شفاهك » ، يكتب راشد حسين : « وبعت التراب المقدس

يا انذل العاشقين
لتدفع مهري ؟
وتبتاع لي ثوب عرس ثمين ؟
فماذا اقول لطفلك ان قال :
هل لي وطن ؟
وماذا اقول له ان تساءل :
انت الثمن ؟
سحبت الحواكير من شعرها
وبعت جدائل زيتونها
وأرخصت في السوق عرض السهول
وبعت وفاء بساتينها
وقطعت اثداء رمانها
ومزقت حلمات ليمونها »

ـ التتمة على الصفحة ١٦٦ ـ

القدس في عينين

« في نيويورك .. وأخت فلسطينية في المستشفى لعلاج عينيها ..
« وسقوط القدس في الخامس من حزيران .. وهذه القصيدة .. »

لون عينيك نخيل
لون عينيك دوالي
لون عينيك كحبي القدس ..
غال .. ألف غالِ
وصبور لون عينيك كأمي
وحزين كسهولي
وعنيد كجبالي

***

لون عينيك أبي يغرس تفاحا .. وتينا
ويقول :
« ازرع !.. فما تزرعه يضحي بنينا
ويغني :
« يا ليالي !.. يا ليالي !..

***

لون عينيك صلاح الدين
من دون رجالِ
وعذاب لون عينيك لاشباه الرجالِ

***

لون عينيك حصاد
لون عينيك بيادر
لون عينيك سلام
وطني فيه مسافر
وقصير لون عينيك كعمري
وجريح مثل شعري
وطويل كاعتقالي
لون عينيك حمام .. ونسور .. في خيالي

نيويورك

راشد حسين